الباب الأول

تربية النحل عبر العصور

استطاع علماء النبات أن يعرِّفوا أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نوع من أنواع النباتات الراقية، وكذلك ١٢٠,٠٠٠ نوع من أنواع النباتات الدنيا. أما علماء الطيور فقد استطاعوا تصنيف ١٠٠٠٠ نوع من أنواع الطيور، وتمكن علماء علم الحيوان من تعريف نحو ٦٠٠٠ نوع من أنواع الحيوانات الثديية، ولكن علماء الحشرات استطاعوا أن يصنفوا أكثر من مليون نوع من أنواع الحشرات، وعليه.. فإن الطبيعة تعد غنية بما تحتويه من أنواع الحشرات المختلفة.

وتعد معظم أنواع الحشرات ضارة بالإنسان، ومنها حشرات المنِّ التى لاتكاد أن ترى إلا بصعوبة، والجراد كبير الحجم، فضلاً عن الخنافس من شتى الأنواع، ويساريع (برقات) الدقيقات والفراشات، وغيرها من أنواع الحشرات الضارة بالزراعة.

ويؤدى كثير من أنواع الحشرات دور الناقل للأمراض المُعْدية الضارة بالإنسان أو الحيوان، فبعوضة الأنوفلس **Anopheles** مثلاً تنقل حمى الملاريا التى تصيب ملايين البشر فى المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية، وتقوم ذبابة الإسطبل الخريفية ***Stomoxys calcitrans*** بنقل مسببات الحمى الفحمية **anthra**، وتحمل ذبابة التسى تسى ***Glossina palpalis*** مسببات مرض النوم فى إفريقيا الاستوائية، أما الذبابة المنزلية العادية ***Musca domestica***، فتنشر أمراض حمى التيفود والدوسنتاريا، وغيرها.

ولكن هذه القائمة عن الحشرات ليست هى كل الحقيقة، بل إن كثيراً من أنواع الحشرات تعد من المخلوقات النافعة التى لا يستغنى عنها الإنسان، ويتربع على قمتها نحل العسل ودودة القز.

وكل منا يعرف أن نحل العسل يؤدى منافع جليلة للإنسان؛ فهو يقوم بتلقيح أزهار

المحاصيل والخضر والفاكهة، ويزيد من إنتاجها إلى أكبر قدر، وهذه الميزة وحدها لاتقدر بثمن، أما الميزة الأخرى فهى إمداد الإنسان بالعسل، وتلك ميزة ما ألذها من ميزة !!

ولقد ظهر نحل العسل على سطح كوكب الأرض فى العصر التتيارى Tetiary period؛ أى قبل وجود الإنسان على ظهر الأرض بنحو ٥٦ مليون سنة، وتُبين الآثار القديمة للإنسان فى العصر الحجرى ـ أنه كان شغوفًا بجمع عسل النحل.

شكل (١)
رسم ملون فى كهف العرنة بأسبانيا بين طريقة جمع العسل فى العصر الحجرى

وأقدم تلك الآثار ماتم العثور عليه فى كهف فى منطقة العرنة (بالقرب من بلنسية فى إسبانيا) (شكل ١)، وهو عبارة عن رسم باللون الأحمر، مرسوم على صخرة بالكهف، ويبدو فيه رجل يجمع العسل من عش للنحل، ويطير من حوله عدد من النحل الذى استفزته هذه العملية.

وأول من قام باستئناس النحل البرى وتربيته، هم قدماء المصريين منذ ٥٠٠٠ عام، وكانوا يصنعون خلايا أنبوبية من الطين، يربون فيها النحل المصرى؛ ليحصلوا منه على العسل، وهذه الخلايا هى الخلايا الموجودة نفسها بالريف المصرى حتى الآن، شكل (٢)، والنحل الفرعونى القديم هو النحل البلدى نفسه والمصرى الموجود حتى يومنا هذا، وهو نحل أصفر اللون صغير الحجم شرس الطباع يدافع عن خلاياه بعنف، وفى أواخر الخمسينيات من هذا القرن، بدأ استيراد أنواع أخرى من النحل الأوروبى، الأكثر هدوءًا والأوفر إنتاجًا للعسل، وانتشرت هذه الأنواع حتى غطت معظم المحافظات.

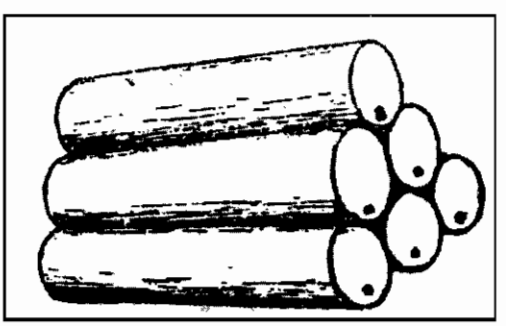

شكل (٢)
خلايا نحل بلدية مصنوعة من الطين

ولكن فى أيامنا هذه، انتشرت بعض الآفات والأمراض الوافدة، التى تصيب النحل

الأوروبى بشدة، وانتقلت عدوى هذه الأمراض والآفات إلى مصر، بعد أن كانت خالية منها، وكادت أن تقضى على صناعة العسل فى مصر.

وهنا تنبه بعض العلماء الأجانب والمصريون ووجهوا أنظارهم نحو فلول النحل المصرى، الذى لازالت خلاياه موجودة فى بعض مناطق الصعيد. وتبين عدم قابلية هذا النحل للإصابة الشديدة بهذه الآفات والأمراض، وأسرعت بعض الجهات الأجنبية ـ بالتعاون مع وزارة الزراعة المصرية ـ فى نقل النحل المصرى وتربيته وإكثاره فى بعض المناطق المصرية المعزولة، مثل: واحة سيوة وبعض جهات سيناء، ولاعجب فهذه السلالة من النحل هى السلالة الفرعونية الأصيلة، التى استأنسها قدماء المصريين، وكانوا هم أول من قام بتربية النحل وإنتاج العسل فى العالم، واعتبروا العسل والشمع من المنتجات المقدسة التى تقدم قرباناً للآلهة وهدايا للملوك، يعبئون العسل فى أوان ثمينة من المرمر، وينقشون عليها ألقاب الفرعون (شكل ٣)، وكان شمع النحل يستخدم فى إضاءة المعابد والقصور، كما كان يستخدم ضمن المواد المستخدمة فى التحنيط.

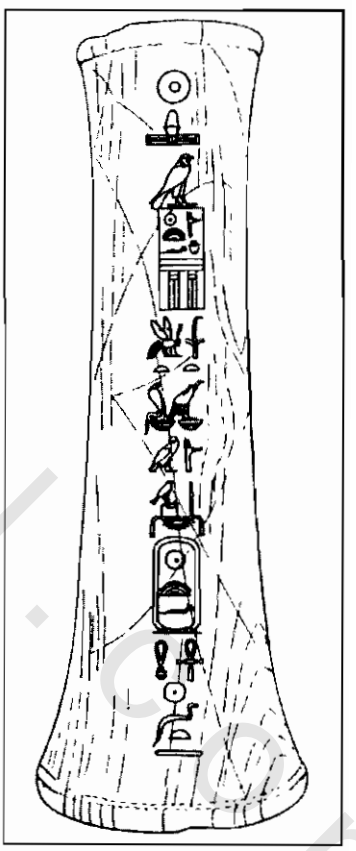

شكل (٣)
إناء فرعونى للعسل منقوش عليه ألقاب الفرعون

ثم انتقل فن تربية النحل من المصريين القدماء إلى قدماء الإغريق، ومنهم إلى الرومان، وكان العسل من المنتجات الثمينة التى تقدم قربانا للآلهة وهدايا للأباطرة، وانتشرت تربية النحل فيما بعد بين شعوب أوروبا وآسيا.

وفى العصور الوسطى، كان العرب من أسبق الشعوب فى وسائل تربية النحل، والكشف عن أسرار الخلية، واستطاعوا أن يتعرفوا ملكة النحل (اليعسوب) ويحددوا وظائفها. وكذلك وصلوا إلى معرفة أنواع الأفراد الأخرى داخل الخلية من شغالات وذكور، وكانوا يقولون (إن الذكور لافائدة من وجودها، فهى تلتهم العسل وتعلم النشيط الكسل.

وعندما قام الرحالة العربى أبوعلى أحمد بن عمر برحلة فى جنوب أوروبا وشرقها، فى بداية القرن التاسع الميلادى، ألف مؤلفه المعروف باسم «أنباء الخزر والبيورات والبلغار والمجر والسلاف والروس»، وكتب فى هذا المؤلف «إن أرض السلاف عبارة عن سهول تغطيها الغابات، وتعيش قبائلهم بين هذه الغابات، ويصنعون أنواعًا من الخلايا الخشبية يربون فيها النحل، ويخزن العسل فى أوانٍ أخرى مصنوعة من الخشب.

وفى العصور الحديثة، وصل فن تربية النحل إلى ذروته، عندما اخترع «لانجستروث» خليته الحديثة المتحركة، ذات الأطر الشمعية المتحركة أيضًا، والمعروفة باسمه، وانتشرت هذه الخلايا فى جميع أنحاء العالم، ومن وقتها قفزت النحالة قفزة كبيرة، ومازالت فى تقدم مطرد حتى الآن.

obeikandl.com